الفصل الأول
تعريف الأسرة

تعريف الأسرة في اللغة والشرع :

الأسرة في اللغة من الأَسْر[1] وتعني القيد أو الربط بشدة والعَصْب، وتؤخذ أيضًا بمعني الدرع الحصين، وبمعني الرهط والعشيرة. فيقال أسرة الفرد هي أقاربه من قبل أبيه أو هي رهطه أو عشيرته التي يتقوى بها (مختار الصحاح: 27) .

أما في الشرع فقد أخذت الأسرة بمعنيين هما الأهل والعائلة . والأهل[2] من أَهِل أي أَنِس واستراح وهدأ واطمأن، وأزال الوحشة . ومنها الأهلية أي الصلاحية، والقدرة على تحمل المسئولية (مختار الصحاح: 27 المعجم الوسيط: 17). ويشيرُ هذا المعني إلى أن أسرة الفرد هي أهلة الذين يأنس بهم، ويستريح إليهم، ويشعر بالأمن والأمان معهم، ويجدهم سندًا له . فأهل الرجل هم أخص الناس به، وهم زوجته وأبناؤه وأقاربه، أو هم عشيرته التي يعتز بها ويساندها وتسانده (المعجم الوسيط: 31) .

وقد استخدم القرآن الكريم والسنة الشريفة الأهل بمعني الأسرة في مواضع كثيرة، فعندما بَشّرت الملائكة زوج سيدنا إبراهيم عليه السلام بالحمل والإنجاب وتعجبت من هذه البشري "قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد" (سورة هود: 73) . وقال سبحانه للوط عليه السلام "وأسر بأهلك" (سورة هود: 81) وقال عن موسى عليه السلام " فلما قضي موسى الأجل وسار بأهله" (سورة القصص: 28) وقال عن إسماعيل عليه السلام "وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيًا" (سورة مريم: 55) وقال لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام "إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" (سورة الأحزاب: 33) . وقال للمؤمنين "يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة" (سورة التحريم:6). وقال الرسول "خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي" (رواه البخاري) .

أما المعني الثاني فيأخذ الأسرة بمعني العائلة . فعائلة الرجل هي زوجته وأولاده ومن يكفلهم من الأقارب لأبيه، الذين يضمهم بيت واحد ومعيشة مشتركة[3] (المعجم الوسيط: 66) وقد أشار القرآن الكريم والسنة الشريفة في بعض الآيات والأحاديث إلى الأسرة بهذا المعني، فقال تعالي للرسول عليه السلام "ووجدك عائلا فأغنى" (سورة الضحى: 8) أي وجدك يا محمد فقيرًا في حاجة إلى من يعيلك فأغناك الله وأعالك . وقال تعالي أيضًا للمؤمنين "وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء، إن الله عليم حكيم" (سورة التوبة: 28) أي إذا خفتم الفقر بسبب منع المشركين من الاقتراب من المسجد الحرام في مواسم التجارة ، فسوف يعيلكم الله ويغنيكم من فضله إذا افتقرتم، فهو سبحانه العائل لكم (مخلوف، 19: 252) وأشار الرسول إلى الأسرة بمعني العائلة في قوله صلي الله عليه وسلم: "كفي بالمرء إثما أن يضيع من يعول" (رواه أبو يعلى) أي يضيع أسرته التي يعولها . وقال "أفضل دينار ينفقه المرء دينار ينفقه على عياله"

والعائلة مؤنث العائل وهي من عال يَعَيل[4] وعادة يسمي الأبناء "عَيالا" ويسمي الأب معيلا لأبنائه والأم معيلة لأبنائها . ولا يسمي الآباء عيالًا حتى ولو كانوا عالة على أبنائهم، لأن الآباء كبار وليسوا صغارا، وسبق لهم أن عالوا أبناءهم، مما يجعل الأبناء من عمل الآباء وملكا لهم . فقد قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لرجل "أنت ومالك ملك لأبيك". وهذا يعني إعالة الابن لأبيه هي من عمل الأب الذي يكون عالة على ابنه إذا احتاج إليه .

ويشيرُ معني العائلة إلى الاعتمادية المتبادلة بين أفراد الأسرة ، فكل فرد في الأسرة عالة على الآخرين فيها لأنه في حاجة إليهم، ولا يستغني عنهم، وهو في الوقت نفسه يعول الآخرين في الأسرة ؛ لأنهم في حاجة إليه ولا يستغنون عنه .

ويظهر معنى العائلة في الإعالة المتبادلة في الواجبات والحقوق المتبادلة بين أفراد الأسرة، حيث تكون واجبات الزوجة حقوقًا للزوج، وواجبات الزوج حقوقًا للزوجة، وواجبات الآباء حقوقًا للأبناء، وواجبات الأبناء حقوقًا للآباء . وهكذا

يفتقر كل فرد في الأسرة إلى الآخرين فيها، لكي يحصل على حقوقه، فهو عالة عليهم، وفي الوقت نفسه هم عالة عليه لأنهم في حاجة إليه لكي يحصلوا على حقوقهم عنده، والتي لا يحصلون عليها إلا إذا قام هو بواجباته نحوهم، فالزوج لا يستغني عن زوجته، والزوجة لا تستغني عن زوجها، والأبناء لا يستغنون عن الآباء، والآباء لا يستغنون عن الأبناء، فالجميع عائل للآخرين في الأسرة وفي الوقت نفسه عالة عليهم.

ونخلص من تعريفات الأسرة في اللغة والشرع إلى أن مفهوم الأسرة يتضمن الأَسْر والأهل والعائلة، حيث يشير الأَسْر إلى رباطي الزواج والدم اللذين يربطان أَفراد الأسرة ويعصبانهم معًا بقوة وشدة . فرباط الزواج الذي فيه أَسْر اختياري، يجعل الزوج أسيرًا عند الزوجة بإرادته، والزوجة أسيرة عند زوجها بإرادتها وموافقتها على الدخول في قفص الزوجية الذهبي .

أما رباط الدم وصلة الرحم فأَسْر إجباري طبيعي، فكل إنسان أسير والديه وأخوته وأقاربَ الذين لم يختارهم ولم يختاروه، ولا يستطيع أي منهما الانفكاك من الآخر، لاسيما في المجتمعات الإسلامية التي تحرم التبني، وتمنع تغيير النسب . قال تعالي: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾ [الأحزاب: 5] وقال رسول الله "من دعي إلى غير أبيه وهو يعلم أنه ليس بأبيه فالجنة حرام عليه" . ويشير مفهوم الأهل إلى وظيفة أساسية في الأسرة هي توفير الأنس والمودة وإزالة الوحشة بين أفراد الأسرة، فيعيشون في أمن وطمأنينة واستقرار . أما مفهوم العائلة فيشير إلى وظيفة ثانية في الأسرة، وهي إعالة أفراد الأسرة والإنفاق عليهم وتوفير حاجاتهم المعيشية . وبذا يستوي أن تقول أسرة أو أهل أو عائلة فكل يشير إلى خاصية أساسية في جماعة الأسرة ولا توجد هذه الخاصية إلا في الأسرة .

وزبدة هذه الخلاصة أن الأسرة كما نفهمها في اللغة العربية والشريعة الإسلامية جماعة اجتماعية تقوم على ثلاث ركائز هي :

1- الأسْر أو القيد الاختياري في الزواج، والإجباري في القرابة وصلة الرحم .

2- الأنس والمودة وإزالة الوحشة عن أفراد الجماعة وتحقيق الأمن والطمأنينة لهم .

3- الإعالة لأفراد الجماعة ومساندتهم والإنفاق عليهم والتضحية من أجلهم .

تعريف الأسرة في الاصطلاح :

يقصد بتعريف الأسرة في الاصطلاح تعريفات علماء الاجتماع الأسري أو العائلي وعلم النفس الأسري أو سيكلوجية العلاقات الأسرية وهي تعريفات كثيرة قال بها علماء غربيون، وأخذ بها علماء الاجتماع وعلم النفس الاجتماعي العرب، ولا بأس من اقتطاف بعضها بما يحقق لنا تعريف الأسرة في الاصطلاح :

"الأسرة جماعة من الزوجين وأبنائهما، وقد تتسع فتشمل الأجداد والأحفاد والأقارب، الذين يعيشون في معيشة مشتركة وتحت سقف واحد". (Ogburn, 1968)

"الأسرة جماعة من الأشخاص تربطهم روابط الزواج والدم، ويتفاعلون معًا وجهًا لوجه ويعيشون تحت سقف واحد وفي معيشة مشتركة تقوم على العطاء والتضحية(Burgess,1953)"

"الأسرة جماعة نفسية لها خصوصية، تقوم على روابط الزواج والدم، ويسودها المودة والرحمة والتضحية والرعاية المتبادلة بين أفرادها. (Muncie & Sapsford,2000)

"الأسرة جماعة اجتماعية بيولوجية نظامية، تتكون من رجل وامرأة بينهما زواجٌ شرعي وأبنائهما، وتقوم بإشباع حاجات أفرادها وتنشئة الأطفال" (الموسوعة الأمريكية عن عفيفي، 1996).

"الأسرة بناء اجتماعي مكون من مراكز وأدوار اجتماعية، ولها معايير تنظم العلاقات بين أفرادها، وتبين ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات (Mattessich & Hill,1986)"

ومع تعدد هذه التعريفات فإنها تتفق على أن الأسرة "جماعة اجتماعية نواتها امرأة ورجل بينهما زواج شرعي وأبناؤهما ، وقد تمتد أفقيًا أو رأسيًا وتضم: الأجداد ، والأحفاد ، والأقارب الذين يعيشون في معيشة مشتركة وتحت سقف واحد، ويتفاعلون معًا وجهًا لوجه، ويسودها المودة والمحبة والرحمة، وتقوم الحياة فيها على التضحية والرعاية المتبادلة وتنشئة الأطفال وحماية كبار السن" .

وهذا يعني أن تعريف الأسرة في الاصطلاح يقوم على الركائز التي يقوم عليها تعريف الأسرة في اللغة والشرع، وهي: الأسْر والأهل والإعالة، فالأسرة في الاصطلاح مفهوم يشير إلى جماعة اجتماعية مرتبطة بروابط الزواج والدم (من الأَسْر)، ويسودها الود والأنس والمحبة (من الأهل)، وتوفر الرعاية لأفرادها والإعالة لهم (من العائلة) .

خصائص جماعة الأسرة

وفي ضوء تعريف الأسرة في اللغة والشرع والاصطلاح نخلص إلى أن الأسرة جماعة كأي جماعة اجتماعية لها وظائف وأهداف ومعايير تنظم العلاقات بين أفرادها، وقيادة تقودها، وواجبات يقوم بها أفرادها، وحقوق يحصلون عليها . ومع هذا فإنَّ جماعةَ الأسرةِ لها خصائص تميزها عن غيرها من الجماعاتِ في المجتمع، بعض هذه الخصائص تدل على الأسرة دلالة قاطعة، وبعضها الآخر يدلُّ عليها دلالة قوية . من هذه الدلالات الآتي :

أولًا – الدلالات القاطعة على جماعة الأسرة.

ويقصد بها الخصائص التي توجد في جماعة الأسرة ولا توجد في غيرها من الجماعات، فهي خصائص تدل على الأسرة دلالة قاطعة . من أهم هذه الخصائص الآتي:

1- تنشأ جماعة الأسرة **بالزواج الشرعي** بين رجل وامرأة، فلا تطلق أسرة إلا على جماعة تنشأ بالزواج الشرعي، الذي يربط بين رجل وامرأة برباط اختياري إرادي، فإذا انحل هذا الرباط قبل الإنجاب انتهت الأسرة، ولم يعد لها وجود .

فرباط الزواج يدل على جماعة الأسرة دلالة قاطعة لأنه لا تنشأ جماعة بالزواج إلا جماعة الأسرة .

2- تكتمل جماعة الأسرة وتكبر **بالإنجاب** الذي ينشئ روابط الدم بين المولود ووالديه وأقاربه، وتسمي صلة الرحم أو روابط القرابة، وهي روابط إجبارية إلزامية لا يختارُها أحد، ولا يستطيع أحد الانفكاك منها . فكل مولود في الأسرة ينسب إلي والديه . قال تعالي: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: 5]. ولا تقوم أية جماعة على روابط الدم إلا جماعة الأسرة .

3- تتحدد **المراكز الاجتماعية** في جماعة الأسرة بعوامل بيولوجية، فالرجل يشغل مراكز الزوج والأب والجد لأنه ذكر، والمرأة تشغل مراكز الزوجة والأم والجدة لأنها أنثي، أما المراكز في الجماعات الأخرى غير الأسرة فتحددها عوامل ثقافية ، ولوائح وقوانين مكتوبة وغير مكتوبة ، ولا توجد جماعة تتحدد فيها المراكز بعوامل بيولوجية إلا جماعة الأسرة .

4- تتكون جماعة الأسرة من أفراد من الجنسين ومن **أعمار مختلفة** ، ولا توجد جماعة غير الأسرة تتكون بالزواج من رجل وامرأة، وبعد الإنجاب تضم الصغار والكبار معًا . ويستمر التباين في الأعمار بين أفراد الجماعة وفي جميع مراحل نموها، حيث يكبر الوالدان إلى الشيخوخة ويكبر الصغار إلى المراهقة والرشد .

5- **الإنجاب وتنشئة الأطفال** أهم وظائف الأسرة، ولا توجد أية جماعة غير الأسرة تقوم بوظيفة الإنجاب، لاسيما في المجتمعات الإسلامية التي لا تقبل الإنجاب بدون زواج شرعي، وتحرم الزنا، وتعده من الكبائر .

6- **الواجبات والحقوق في جماعة الأسرة متقابلة**، فواجبات الزوج حقوق لزوجته عليه، وواجبات الزوجة حقوق لزوجها عليها، وواجبات الوالدين حقوق لأبنائهما عليهما، وواجبات الأبناء حقوق لوالديهم عليهم (Dallos & Sapsford, 2000: 128) . وتدل هذه الخاصية على الأسرة دلالة قاطعة لأنها لا توجد إلا في الأسرة، ولا توجد أسرة إلا والواجبات والحقوق فيها متقابلة .

ثانيًا – الدلالات القوية على الأسرة :

ويقصد بها خصائص أساسية تقوم عليها الحياة الأسرية المستقرة، وإذا نزعت هذه الخصائص كلها أو بعضها من جماعة الأسرة تتصدع وتتفكك وتفقد مبررات وجودها، وإذا وجدت هذه الخصائص كلها أو بعضها في جماعة غير جماعة الأسرة تصبح كالأسرة في ترابطها وتماسكها، وتجعلها مصدر أمن وأمان لأفرادها ، وتدفعها إلى النجاح والتفوق . ومن أهم الخصائص التي تدل على جماعة الأسرة دلالة قوية ، ولا توجد الحياة الأسرية إلا بها ، الآتي :

1- تقوم العلاقات الأسرية على **المودة والمحبة والتضحية المتبادلة**، فالزوج يضحي من أجل زوجته، والزوجة تضحي من أجل زوجها، والوالدان يضحيان من أجل أبنائهما، والأبناء يضحون من أجل والديهم . وإذا وجدت هذه العلاقات (المودة والمحبة والتضحية) في جماعة غير الأسرة كانت كالأسرة من حيث العلاقات بين أفرادها، ويطلق عليها أسرة مجازًا، وهي ليست أسرة في الواقع . أما إذا نزعت هذه العلاقات من جماعة الأسرة فإنها تكون أسرة من الناحية البنائية وليست أسرة من الناحية الوظيفية؛ لأنها فقدت وظيفتها في توفير المودة والمحبة والرحمة بين أفرادها، وأصبحت عرضة للتفكك .

2- توفر جماعة الأسرة لأفرادها الصغار والكبار **الرعاية والمعيشة**، وتشبع لهم حاجاتهم الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية . وإذا وجدت جماعة غير الأسرة توفر لأفرادها الرعاية، وتشبع لهم حاجاتهم، فإنها تكون كالأسرة من حيث الوظيفة وليس البناء والتكوين . وإذا تقاعست جماعة الأسرة عن رعاية أفرادها، وأهملت في إشباع حاجاتهم فإنها تكون أسرة غير طبيعية، أو أسرة مريضة في حاجة إلى الإرشاد والمساعدة المادية والمعنوية حتى تستعيد عافيتها في رعاية أفرادها .

3- تقوم القيادة في جماعة الأسرة **برعاية أفرادها وحمايتهم والإنفاق عليهم والتضحية من أجلهم** ولا تكون هذه مسئوليات القيادة إلا في جماعة الأسرة، فالقوامة في الأسرة ولاسيما الأسرة المسلمة تتضمن – بالإضافة إلى مسئوليات

الإشراف والتوجيه واتخاذ القرارات – القيام بمسئوليات الإنفاق على أفراد الأسرة والرعاية لهم والرحمة بهم وخدمتهم وحمايتهم، مما يجعل مسئوليات القيادة في الأسرة مختلفة عن مسئوليات القيادة أو الرئاسة في الجماعات الأخرى .

فالقيادة في الأسرة تكليف وليست تشريفًا لمن يقوم بها، لأن القائد – وهو الأب في الأسرة الأبوية أو الأم في الأسرة الأمومية – مرتبط بأفراد أسرته بروابط الزواج أو الدم التي تُلْزِمُه بخدمة ورعاية وحماية مَنْ يعول أو يقود، فهو منهم وهم منه، يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ولا يسعد إلا بسعادتهم، ولا توجد هذه الروابط والمشاعر عند القائد إلا في جماعة الأسرة، وإذا وجدت في غير الأسرة كان القائد فيها كالأب أو الأم في مشاعره نحو أفراد الجماعة . أما إذا نزعت هذه المشاعر من القائد في الأسرة فقد ضيع مَنْ يعول، أي ضيع جماعة الأسرة التي يقودها، وفقد خاصية من خصائص القيادة أو القوامة فيها . وتدل **"مسئولية القيادة عن الرعاية والإنفاق والتضحية"** على جماعة الأسرة دلالة قوية لأنها لا توجد إلا في الأسرة، وإذا وجدت في جماعة أخرى كان القائد فيها كالأب أو الأم وكانت الجماعة التي يقودها كالأسرة، وكان أسلوبه في القيادة من النمط الأبوي الذي يحرص على مصلحة الجماعة ومصلحة أفرادها.

4- تعيش جماعة الأسرة معًا **في مكان واحد مدة طويلة**، فالأسرة مكان يأوي إليه أفرادها ويتفاعلون معًا فيه، ويعيشون فيه معيشة مشتركة دائمة مدة طويلة، ويشتركون معًا في ثقافة واحدة، ويكتسبون خبرات متشابهة إلى حد كبير في العادات والتقاليد والقيم والمعتقدات (Dallos & Sapsford, 2000: 128) وتدل خصوصية المكان واستمرارية الحياة ووحدة الثقافة على جماعة الأسرة دلالة قوية، لأنها – أي الخصوصية – قد توجد في جماعات غير الأسرة لكن لا توجد أسرة بدون خصوصية المكان والزمان والثقافة .

التمرد على الأسرة التقليدية

تعرضت الأسرة بمفهومها التقليدي الذي أشرنا إليه للنقد والتجريح من

الحركات المناهضة للأسرة Anti-Family Movements والتي دعت إلى التخلي عن الأسرةِ التقليدية واستبدالها بأنظمة أسرية مناسبة للحياةِ العصرية، تحمي المرأة من الظلم، وتصون حرية الفرد وحقوقه، وتحقق للأطفال الأمن والاستقرار النفسي والاجتماعي، الذي فشلت الأسرة التقليدية في تحقيقه .

من زعماء هذه الحركات: الشيوعيون وحركاتُ تحرير المرأة وبعضُ علماء الاجتماع العائلي والطبُ النفسي الراديكالي(٤) ، وكثيرٌ من المفسدين في الأرضِ وضعاف النفوس الذين تمردوا على نظام الزواج التقليدي، وعلى توزيع الأدوار في الأسرة وفق الجنس، وعلى الإنجاب وتربية الأطفال، وعلى الأخلاق والفضيلة . ومع قناعتنا بسخافة اتهاماتهم للأسرة التقليدية وعدم منطقيتها، وضعف حججهم، وزيف ادعاءاتهم، وعدم صلاحية الأنظمة الأسرية الحديثة لقيام حياة إنسانية كريمة . ناهيك عن معارضة فِكْرهم لعقيدتِنا الإسلاميةِ ولعاداتنا وتقاليدنا، ومع هذا سوف نعرضُ لفِكرهم ومزاعمهم، ونناقش الأنظمة الأسرية الحديثة التي قامت عليها بإيجاز وموضوعية، ثم نبين ما فيها من زيف، ونقدم الدليل من اللغة العربية والشريعة الإسلامية وعلم النفس الأسري وعلم الاجتماع العائلي وعلم الصحة النفسية على زيف فكرهم وبطلان ادعاءاتهم، وفساد أنظمتهم الاجتماعية .

والذي يدعونا إلى عرض هذه الفكر والأنظمة الأسرية في هذا الموضع من الكتاب، هو ما كتبه بعض الباحثين العرب نقلًا عن المراجع الأجنبية حول غموض مفهوم الأسرة بمعني Family ، وصعوبة تحديده، وتعدد معانيه، واختلاف الجماعات التي يدل عليها، ومناقشتهم – أي الباحثين العرب – للأنظمة الأسرية البديلة وكأنها أنظمة أسرية مُتطورة أو حديثة، وهي من وجهة نظرنا أنظمة فاسدة، لا تصلح لقيام حياة أسرية وفق معتقداتنا وعاداتنا وتقاليدنا .

يضاف إلى هذا أن البعض من هؤلاء الباحثين باتوا مقتنعين بمزاعم المناهضين للأسرة التقليدية، حول تخلي الأسرة الحديثة عن معظم وظائفها، وظُلمُ الرجل للمرأة في الحياة الأسرية التقليدية، والدعوة للمساواة بين الجنسين في الأدوار

الاجتماعية، وتحرير المرأة من أدوارها التقليدية ومن قوامة الرجل، وتخليصها من التقسيم الظالم للأدوار الاجتماعية في الأسرة وغيرها من المزاعم، التي قبلها هؤلاء الباحثون العرب كليًا أو جزئيًا أو سكتوا عنها، وهي من وجهة نظرنا دعوات للانحراف النفسي، وسوف يظهر زيف هذه المزاعم في مناقشاتنا لفِكْر المناهضين للأسرة والأنظمة الأسرية الحديثة التي قامت عليها .

فِكْر المناهضين للأسرة التقليدية :

تعددت انتقادات المناهضين للأسرةِ التقليدية وشملت مفهوم الأسرة ونظام الحياة الأسرية والمبادئ التي تقوم عليها . فالشيوعيون عدّوا الأسرة التقليدية نظامًا رأسماليًا يكرس سيطرة الرجال على النساء، ودعوا إلى هدمه والقضاء عليه لتحرير المرأة من سيطرة الرجل البرجوازي[٧] . (Elliot, 1987) وأرجعت جماعات تحرير المرأة الظلم الذي وقع على المرأة عبر العصور إلى تقسيم العمل في الأسرة التقليدية وتسخيرها للأعمال المنزلية وتربية الأطفال وخضوعها للرجل، ودعت إلى هدم الأسرة التقليدية، واستبدالها بأنظمة أسرية حديثة، تقوم على المساواة بين الجنسين في العمل خارج البيت، وتخليص المرأة من أدوارها التقليدية في الأسرة، التي حَطّت من شأنها وظلمتها لسنوات طويلة . (Ingoldsby & Smith, 1995)

وذهب بعض علماء الاجتماع العائلي إلى أن الأسرة التقليدية لم تعد مناسبة للحياة الأسرية في المجتمعات الحديثة بعد خروج المرأة للعمل، وتخلي الأسرة عن معظم وظائفها إلى جماعات أخرى متخصصة، وتمرد الشباب على الزواج والإنجاب، وارتفاع معدلات الطلاق، وتفكك روابط القرابة ، ودعا هذا الفريق إلى أنظمة أسرية بديلة، وتطوير أساليب الزواج بما يحقق الحرية الجنسية والمصلحة الفردية للرجل والمرأة، ويسعدهما في الحياة دون قيود ولا معوقات. (Muncie et al, 2000: 32)

ونظر علماء حركة الطب النفسي الراديكالي إلى الأسرة التقليدية كنظام مخرب لفردية الإنسان وشخصيته، وأرجعوا مشكلات الأطفال والمراهقين وانحرافاتهم

السلوكية وأمراضهم النفسية إلى الظلم الذي يقع عليهم في الأسرة، فيدمر شخصياتهم، ويفسد حياتهم . فالأسرة – من وجهة نظر هذه الحركة – تنمي الفصام والجناح والاضطراب عند الأطفال، بسبب جهل الوالدين وتسلطهما وظلمهما وانحرافاتهما ومشكلاتهما الزواجية والشخصية . ودعا هذا الفريق إلى تخليص الأبناء من هذا النظام السيئ، ورعايتهم في أحضان مربيات مؤهلات علميًا وتربويًا، وتنشئهم كما يريد المجتمع وليس كما يريد آباؤهم البيولوجيون . فالتربية الجيدة يقوم بها التربويون، ولا يقدر عليها الكثير من الآباء والأمهات البيولوجيين . (Laing, 1971; Cooper, 1972)

أما المفسدون في الأرض فقد أرجعوا مشكلات الشباب النفسية والجسمية والجنسية والاجتماعية إلى نظام الزواج، الذي تقوم عليه الأسرة التقليدية، وفلسفته البائسة، وإجراءاته المعقدة، وآثاره المدمرة للفرد والجماعة، ودعوا إلى الحرية الشخصية في ممارسة الجنس بدون زواج، وإلى الزواج بدون إنجاب، وإلى هدم الأسرة التقليدية، واستبدالها بأنظمة أسرية حديثة، تناسب الحياة العصرية، وتحقق للشباب الحرية والانطلاق دون قيود باسم الفضيلة والقيم، ولا عراقيل باسم الدين والأخلاق . فالزواج وبناء الأسرة مسألة شخصية وليست مسألة اجتماعية ولا دينية(Rigby, 1974)

ومع اختلاف هذه الحركات في الأيدلوجيات[8] والأهداف فإن أصحابها يجمعون على أن الأسرة بمفهومها التقليدي في طريقها إلى الزوال، إن لم تكن قد ماتت فعلًا في كثير من المجتمعات، واستدلوا على ذلك من التغيرات التي طرأت على الأسرة الأمريكية في العصر الحديث من زيادة في معدلات الطلاق، وضعف الروابط القرابيه، والانصراف عن الإنجاب وتربية الأطفال، والتمرد على الزواج والإقبال على ممارسة الجنس بدون زواج، وخروج المرأة إلى العمل وتخليها عن دوريها في الأعمال المنزلية والأمومة، وانتهاء سلطة الرجال على النساء، ومروق الأبناء عن سيطرة الآباء وظلمهم ، وهذا يؤكد – من وجهة نظرهم – هدم مقومات

الأسرة التقليدية، والقضاء عليها، ويمهد الطريق لبزوغ أنظمة اجتماعية بديلة تكون قادرة على توفير حياة أسرية، تلبي مطالب الحياة العصرية في الحرية والاستقلالية، وتدعيم الحقوق الفردية دون التزامات أو مسئوليات نحو الآخرين .

ومن الملاحظ أن المناهضين للأسرة مع تنديدهم بنظام الأسرة التقليدية، وسخطهم على الحياة الأسرية فيها، لم يتخلوا عن مفهوم الأسرة، ودعوا إلى توسيعه ليشمل الأنظمة الأسرية الحديثة، وجعلها أنظمة أسرية طبيعية وليست أنظمة شاذة أو منحرفة، أو جعلها أنظمة بديلة للأسرة التقليدية، توفر للإنسان الأمن والاستقرار، وتعطيه الحب والمودة والمساندة، ولا تحرمه من حقوقه في الفردية والحرية والاستقلالية، ولا ترهقه بمسئوليات والتزامات نحو الآخرين، فيعيش في سعادة واستمتاع بنفسه، وينطلق في الحياة دون قيود .

وقد أشرنا إلى أن الأنظمة الأسرية الحديثة لا ينطبق عليها مفهوم الأسرة لا في لغتنا العربية ولا شريعتنا الإسلامية ولا عاداتنا وتقاليدنا الاجتماعية، ومع قناعتنا أنها أنظمة منحرفة غير مقبولة من كثير من العلماء حتى في المجتمعات الغربية التي نشأت فيها، إلا أننا سوف نناقشها مناقشة علمية تقوم على التعريف بها والفلسفة التي تقوم عليها ، وما حققته للفرد والمجتمع من أمن وأمان وصحة نفسية واجتماعية .

الأنظمة الأسرية الحديثة :

قامت على فِكْر المناهضين للأسرة التقليدية أنظمة أسرية عديدة في كثير من المجتمعات، ولاسيما في أوروبا وأمريكا ونقدم تعريفًا بأربعة منها فيما يلي:

1- أسرة المعاشرة Cohabitation family:

وتسمي أسرة الشريكين غير المتزوجين Unmarried Couple Family ويقصد بها جماعة من اثنين: رجل وامرأة يعيشان معًا بدون زواج من أجل الاستمتاع الجنسي والمودة والمحبة، وليس من أجل الإنجاب وتربية الأطفال، ودون التزامات

من أي منهما نحو الآخر . فأسرة المعاشرة من أجل الاستمتاع المتبادل بين الرجل والمرأة في النواحي الجنسية والعاطفية (Asen,1995) .

وبزغت فكرة "أسرة المعاشرة" في مقالة نشرتها مارجريت ميد M . Mead الأنثروبولوجية[9] في جامعة كولومبيا سنة 1966 بعنوان "الزواج في خطوتين: Marriage in two Steps تنشأ في الخطوة الأولي "أسرة معاشرة" يعيش فيها الرجل مع المرأة بدون زواج رسمي، بهدف تنمية المودة والمحبة وممارسة الجنس، وبدون تحمل أية مسئوليات مالية أو اجتماعية في الأسرة . وتسمي ميد هذه المرحلة بمرحلة الزواج الفردي Individual marriage التي تهدف إلى تحقيق التفاهم، واختبار المشاعر، وسبر أغوار الشخصية، فإن ائتلف الرجل والمرأة انتقلا إلى الخطوة الثانية، وإن اختلفا افترقا بدون طلاق ولا مشكلات اجتماعية أو التزامات مالية أو إنجاب .

وتنشأ في الخطوة الثانية أسرة الإنجاب بالزواج الرسمي، أو ما تسميه ميد الزواج من أجل الوالدية Parental marriage أي الإنجاب وتربية الأطفال وتحمل المسئولية (Dickinson & leming, 1990: 188)

ومن متابعة فكرة ميد تبين أنها لم تحقق الاستقرار الأسري، حيث وقف الكثير من الشباب عند "أسرة المعاشرة" ولم ينتقلوا إلى أسرة الإنجاب، واستمروا في ممارسة الجنس بدون زواج، مما أدي إلى انتشار أسر المعاشرة في أوروبا وأمريكا بين الشباب والأرامل والمطلقات . وحتى الحالات القليلة التي انتقلت من المعاشرة إلى الإنجاب وتزوجت رسميًا، لم يستمر زواجها طويلًا، وانتهت بالطلاق، ولم يتحقق الاستقرار الأسري الذي كان مأمولًا من الزواج في خطوتين(Elliot, 1986:185)

وتبين من دراسات كثيرة أن أسر المعاشرة تعاني مشكلات عديدة، بسبب الملل والغيرة والخلافات بين الرجل والمرأة، وغموض العلاقات الأسرية وعدم المسئولية في الحياة الأسرية، والشك والخوف من المستقبل . فالحرية والاستقلالية التي تقوم عليها أسرة المعاشرة تضعف الروابط بين الرجل والمرأة، فلا يأْنس كل من

الشريكين إلى الآخر، ولا يطمئن إليه بعد اقتناعه أن المعاشرة لممارسة الجنس، وليست للسكن والأمن والمودة والحب .

وتواجه أسر المعاشرة صعوبات كثيرة في الإنفاق وفي العلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة، اللذين يتعرضان للضغوط النفسية والاقتصادية والانفعالية بسبب الخلافات وانعدام المودة والمحبة بينهما، والأنانية والحرية الفردية التي تعجل بهدم علاقة المعاشرة، وترك كل منهما الآخر إلى معاشرة أخرى . فأسر المعاشرة لا تربطها روابط ثابتة، ولا تحكمها أخلاق لأنها من أجل الجنس لا من أجل الحب والمودة .

يُضاف إلى هذا أن حياة المعاشرة لم تخلص المرأة من الأعمال المنزلية . فقد وجد أن معظم النساء في أسر المعاشرة يقمن بالأعمال المنزلية، ويتعرضن للاستغلال والنبذ من الرجال الذين عاشروهن، ثم ملوا الحياة معهن، وفارقوهن إلى غيرهن، وتكون النتيجة خسارة للمرأة وحط من شأنها(Elliot, 1986)

وتتعرض المرأة للتأزم في أسر المعاشرة أكثر من الرجل، بسبب الغيرة التي تأكل قلبها، وخوفها من المستقبل كلما تقدم بها السن، وهي تتوقع أن يتحول الرجل عنها إلى أخرى أكثر شبابًا وجمالًا، فلا تشعر بالأمن معه، وتعيش في ضغوط حتى تأتي لحظة الفراق وهدم أسرة المعاشرة، فتعاني أعراض الصدمة أو "أعراض ما بعد صدمة هدم أسرة المعاشرة" التي تشبه إلى حد كبير "أعراض ما بعد صدمة الطلاق" في الأسرة التقليدية، وهي أعراض مؤلمة تظهر في أمراض سيكوسوماتيه أو اضطرابات نفسية أو عقلية أو انحرافات سلوكية، حيث تشكو النساء أكثر من الرجال بعد هدم أسرة المعاشرة من أمراض الحساسية وضغط الدم والصداع وقرحة المعدة، واضطراب النوم والقلق والتوتر والاكتئاب وغيرها .

2- أسرة الكيميون Commune family:

يقصد بها مجموعة من الرجال والنساء لا يرتبطون بروابط زواج ولا قرابة[6]، ويعيشون معًا يمارسون أنشطة مشتركة، وتقوم حياتهم الأسرية على الحرية في ممارسة الجنس، وتدعيم الحقوق الفردية وتحقيق المساواة بين الرجال والنساء في العمل

خارج البيت، وفي الأدوار الاجتماعية في الأسرة . فالجميع يشتركون في الأعمال المنزلية والإنفاق، وإدارة شئون الكيميون، ولا سلطة للرجال على النساء، ولا للآباء على الأبناء . ويتولي تربية الأطفال مربيات متخصصات في التربية وعلم النفس، قادرات على تنشئتهم وفق ما يريد المجتمع وليس كما يريد الآباء والأمهات .

والملكية في الكيميون جماعية وليست فردية، ومسئولية تربية الأطفال مسئولية المجتمع وليست مسئولية الوالدين البيولوجيين، وممارسة الجنس على المشاع، فكل رجل يمارس الجنس مع كل النساء، وكل امرأة تمارس الجنس مع كل الرجال، وتوزيع الأدوار الاجتماعية لا يرتبط بالجنس حيث يشترك الرجال والنساء معًا في أداء الأعمال المنزلية، وفي الكسب والإنفاق والقوامة . فالرغبة في الكنس والطبخ والرقص واللبس والعطف والحنان وتربية الأطفال ليس لها علاقة بالخصائص البيولوجية للرجل والمرأة (Dallos & Sapsford, 2000: 151)

لكن الدراسات على أسر الكيميونات في أوروبا والكيبيوتز في إسرائيل Kibbutz والكلوخز في الصين وروسيا أشارت إلى أن المساواة لم تتحقق بين الرجال والنساء، ولم يختفِ تقسيم العمل وفق الجنس في هذه الكيميونات، حيث كانت الأدوار الوسيلية من نصيب الرجال والأدوار التعبيرية من نصيب النساء .

والطريف في أسر الكيميونات أن بعض الرجال والنساء لم تروقهم ممارسة الجنس على المشاع، وفضلوا الخصوصية في العلاقة الجنسية، فارتبط كل رجل بامرأة واتخذها كزوجة له، وكوَّن معها ومع أبنائهما أسرة داخل الكيميون، ورفضا مشاركة الآخرين لهما في السكن أو في تربية الأبناء (Dreitzel, 1973) وهذا يعني أن الحياة في الكيميونات غير مقبولة ممن اشتركوا فيها .

يضاف إلى هذا أن أسر الكيميونات حققت الحرية في ممارسة الجنس بدون زواج لكنها لم تحقق المساواة بين الرجل والمرأة، ولم تخلص المرأة من الأعمال المنزلية ولا من

سيطرة الرجل، ولا تزال تربية الأطفال مشكلة بين الآباء والأمهات البيولوجيين والمربيات المتخصصات بسبب التنازع حول المسئولية في التربية .

3- أسرة الجنس الواحدOne – Sex Family :

هي جماعة من رجلين أو امرأتين بينهما علاقة زواج رسمية أو غير رسمية، يعيشان معًا ويعاشر أحدهما الآخر معاشرة الأزواج، وتسمي أسرة الشريكين من جنس واحد *One – Sex Pairings Family* ، وتقوم على أساس أن الجنسية المثلية أسلوب حياة Way of life وطريقة طبيعية في الإشباع الجنسي، وليست مرضًا أو انحرافًا بعد أن رفعتها الجمعية الأمريكية للطب النفسي من قائمة الانحرافات أو الشذوذ أو الاضطرابات، وعدتها سلوكًا جنسيًا سويًا شأنها في ذلك شأن الجنسية الغيرية .

فممارسة الجنسية المثلية Homosexual في أسرة الجنس الواحد سلوك طبيعي في كثير من المجتمعات الغربية، يتبادل فيها طرفا العلاقة الحب والمودة وكأنهما رجل وامرأة، فتمارس المرأة الجنس مع امرأة مثلها دون الحاجة إلى رجل، وتسمي "أسرة السحاقLesbin Family " ويمارس الرجل الجنس مع رجل مثله دون الحاجة إلى امرأة، وتسمي "أسرة اللواط Gay Family . (Elliot, 1986)"

وتشير الدراسات إلى أن هذا النظام قد حقق المساواة بين الرجل والمرأة في ممارسة الجنسية المثلية، لكنه لم يحقق المساواة بين الرجلين والمرأتين في الحياة الأسرية. فقد تبين أن أحدهما يقوم بدور الزوج، والآخر يقوم بدور الزوجة في الممارسة الجنسية، ويكون الزوج مسئولًا عن الأدوار الوسيلية في العمل والكسب والإنفاق والقوامة، وتكون الزوجة مسئولة عن الأدوار التعبيرية في الطاعة والأعمال المنزلية والرعاية للزوج والعطف والحنان علية (Janosik & Green, 1992: 272)

وتبين أن الرجل المخنث الذي يقوم بدور الأنثى في أسرة اللواط يعمل على تغيير في تكوينه البيولوجي، بتعاطي هرمونات الأنوثة التي تضعف عضلاته، وتسقط شعر اللحية والشارب، وتنمي الغدد الثديية، وتزيد الشحوم في أماكن مختلفة من

جسمه . أما المرأة المسترجلة التي تقوم بدور الذكر في أسرة السحاق، فتعمل أيضًا على تغيير تكوينها البيولوجي، بتعاطي هرمونات الذكورة التي تقوي عضلاتها، وتنمي الشعر في أماكن مختلفة من جسمها . ولعنة الله على المرأة المسترجلة والرجل المخنث، اللذين يعبثان بخلق الله وساء ما يفعلون .

4- الأسرة الزواجية Conjugal family:

ويقصد بها جماعة من رجل وامرأة بينهما زواج رسمي وأبنائهما الصغار، في معيشة مشتركة، تقوم على أساس أن الزواج لإشباع حاجات الزوجين للجنس وليس الإنجاب وتربية الأطفال . وهذا يجعل الأسرة الزواجية مختلفة عن الأسرة النواة التقليدية، فهي وإن كانت مثلها تقوم على الزواج الرسمي، إلا أن الزواج في الأولي غاية وليس وسيلة، وفي الثانية وسيلة وليس غاية، فالرجل والمرأة يتزوجان في الأسرة الزواجية من أجل الإشباع الجنسي واستمتاع كل منهما بالزوج الآخر، أما في الأسرة النواة التقليدية فيتزوج الرجل والمرأة من أجل الأسرة والإنجاب وتربية الأطفال.

وجاءت فكرة الأسرة الزواجية من مبادئ المذهب البروتستانتي في القرنين 16 و17، التي طورها جودي Goode عالم الاجتماع الأمريكي في القرن العشرين وأسس عليها نظامًا أسريًا يدعم الحقوق الفردية والحرية الشخصية في الحياة الأسرية، فيكون كل شخص حر في اختيار مَنْ يتزوج؟ ومتي يتزوج؟ ومتي يطلق؟. فالزواج للزوجين وبهما، والأسرة من أجل إسعادهما واستقرارهما واستمتاعهما، وليست من أجل الإنجاب ولا روابط القرابة .

وتُقَدِّم الأسرة الزواجية مصلحة الفرد على مصلحة الجماعة، وتركز على رعاية الزوجين Couple – Oriented activities ، أكثر مما تركز على رعاية الأطفال Child – Oriented activities ، وتؤكد على حقوق الزوجين أكثر مما تؤكد على واجباتهما والتزاماتهما نحو الأقارب . فالأسرة الزواجية منعزلة لا تقيم وزنًا لروابط الدم أو القرابة . وتقوم على تحقيق المساواة بين الرجل والمرأة في الزواج وفي العمل

خارج البيت، دون سلطة لأحدهما على الآخر ، ودون سلطة للآباء على الأبناء . فالجميع أحرار من الالتزامات الأسرية والقرابية، والجميع يعملون من أجل تحصيل حقوقهم ومصالحهم الشخصية، ولكل منهم الحرية في الاستمرار في الأسرة أو الانفصال عنها وفق مصلحته ، وليس مصلحة الآخرين (Janosik & Green, 1992: 272)

وقد أشارت الدراسات إلى أن عمر الأسرة الزواجية قصير، لأنها تحمل عوامل هدمها في فلسفتها، التي تقوم على الحرية الشخصية والمصلحة الفردية والأنانية والاستقلالية، وهي مبادئ لا تصلح لقيام حياة أسرية مستقرة، ولا تؤدي إلى بناء أسرة متماسكة .

تعقيب على الأنظمة الأسرية الحديثة :

من عرضنا لفكر المناهضين للأسرة التقليدية ومن مناقشاتنا للأنظمة الأسرية الحديثة نخرج بالتعقيب الآتي :

1- لا ينطبق مفهوم الأسرة في اللغة العربية على المفاهيم الأسرية الحديثة التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين في أوروبا وأمريكا، لأن هذه الأنظمة لا يتوافر فيها خصائص الأسْر الاختياري أو الإجباري، فلا يرتبط أفرادها بروابط زواج ولا روابط قرابة، مما يجعلها جماعات اجتماعية وليست جماعات أسرية، فهي لا تتضمن: الأَسْر أو القيد الاختياري في الزواج، ولا الأَسر أو القيد الإجباري في روابط الدم والقرابة وصلة الرحم . ولا يعني تسمية بعض الباحثين لها أُسرًا بمعني Families أنها كذلك في اللغة العربية؛ لأنها جماعات ليس لها نصيب من معنى الأسرة في العربية، ولا يجوز أن تسمى أسرة .

2- لا ينطبق مفهوم الأسرة في الشريعة الإسلامية على المفاهيم الأسرية الحديثة، لأنها تدلُّ على جماعات لا يتوافر فيها الأنس وإذهاب الوحشة والإعالة المتبادلة، وتقوم الحياة فيها على الفردية والاستقلالية وتقديم مصلحة الفرد على الجماعة . مما يجعلها حياة جماعية أو اجتماعية هدفها تحقيق مصالح مشتركة بين

الأفراد، لكنها ليست حياة أسرية فيها أنس وإذهاب وحشة وإعالة متبادلة، وتضحية من أجل الآخرين. ولن يتحقق مفهوم الأسرة في الشريعة إلا في جماعة تبنى على الزواج الشرعي، الذي يأسر كلا من الزوجين في الأسرة بميثاق غليظ، يلزمه بإيناس الآخر والأنس إليه ورعايته وحمايته والسكن إليه ، قال تعالي في الزواج الذي تبني به الأسرة ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: 21]

فالزواج في الشريعة الإسلامية وسيلة لبناء الأسرة التي يجد فيها الزوجان الأمن والأمان، فلا أمن ولا أمان ولا مودة صادقة، ولا حب حقيقي بين الرجل والمرأة إلا بالزواج الذي يربط كل منهما بالآخر، ويلزمه بحسن عشرته . وهذا لا يتوافر في الأنظمة الأسرية الحديثة ويجعلنا نرفضها بكل ثقة ونتشبث بالأسرة التقليدية .

3- لم تحقق مفاهيم الأنظمة الأسرية الحديثة في المجتمعات الغربية إلا الحرية للرجل والمرأة في ممارسة الجنس بدون زواج، أو ممارسة الجنسية المثلية في اللواط والسحاق . وهذه الحرية هدمت الأخلاق، وضيعت الفضيلة، وحطت من شأن الرجل والمرأة، وجعلت ممارسة الجنس ممارسة حيوانية، أدت إلى تفشي الأمراض والأوجاع والاضطرابات .

وممارسة الجنس بدون زواج لا تصلح لبناء أنظمة أسرية مستقرة، لأنها ممارسة بدون ضوابط تجعل الجنس غاية وليس وسيلة، وتحط من شأن الرجل والمرأة، وتجعلهما كالحيوانات في الحصول على ملذات جسدية قصيرة، لا تحقق لهما الأمن والأمان والمودة والمحبة .

ويرفض كثير من الناس في المجتمعات الغربية ممارسة الجنس بدون زواج، فالدراسات تشير إلى أن أكثر من 80٪ من الشباب يفضلون ممارسة الجنس في الزواج الرسمي، ولا يُقْبلون على الإباحية الجنسية .

أما في المجتمعات الإسلامية فهي أشد تمسكًا بالزواج الشرعي، وتجريم الزنا واللواط والسحاق، التي غلظ الإسلام عقوبتها . قال تعالي في وصف المؤمنين ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝ ﴾ [المؤمنون: 5-7] أي من أراد الإشباع الجنسي بدون زواج أو باللواط أو السحاق أو ممارسة العادة السرية فهو من المجرمين المعتدين على حدود الله . والأنظمة الأسرية الحديثة من هذه الممارسات التي فيها تَعَدٍّ على حدود الله، ولا تصلح أن تكون أُسرًا .

4- لم تستطع الأنظمة الأسرية الحديثة هدم المبادئ التي تقوم عليها الأسرة التقليدية، فلم تتحرر المرأة في الكيميونات من مسئوليات الأعمال المنزلية وتربية الأطفال، ولم يتم القضاء على تقسيم العمل وفق الجنس في أسر المعاشرة أو الجنس الواحد أو الكيميونات، ولم يتحسن وضع المرأة الاجتماعي في هذه الأنظمة الأسرية مما يعني أنها أنظمة فاشلة، ولم تكن بديلًا ناجحًا للأسرة التقليدية، ولم توفر الحياة الأسرية، ومن العبث تسميتها أسرًا .

5- لم يقدم المناهضون للأسرة الحجج المقنعة لهدم المبادئ التي تقوم الأسرة التقليدية عليها، فلا تزال مبادئ: "ربط ممارسة الجنس بالزواج وتوزيع الأدوار في الأسرة وفق الجنس والإنجاب وتنشئة الأطفال وروابط الدم والقرابة تحظى بتقدير واحترام كثير من الناس حتى في المجتمعات الغربية . ولا يزال الكثير من الشباب يُعدِّون الزواج والإنجاب وتكوين الأسرة وتنشئة الأطفال أمنيات غالية في الحياة . وهذا يدحض فكر المناهضين للأسرة ويهدم الأنظمة التي قامت عليها، ويجعلنا نقف مع المؤيدين للأسرة التقليدية Pro family Movements وهم معظم علماء النفس الأسري والاجتماع العائلي في جميع أنحاء العالم، والذين يؤكدون على أنَّ الأسرةَ التقليديةَ هي أفضل نظام اجتماعي يحمي الأخلاق والفضيلة، ويحقق الأمن والاستقرار للفرد والمجتمع .

6- الأسرة التقليدية نظام اجتماعي تؤيده كل التشريعات السماوية، وتحث عليه. وقد جاء الإسلام الدين الخاتم فجعل الزواج نصف الدين، وربط بر الوالدين وصلة الرحم بعبادة الله، وحدد الحقوق والواجبات المتقابلة في الأسرة، وأقام الحياة الأسرية على التضحية المتبادلة والمساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والتكامل في الواجبات، وَقَسّم الأدوار الاجتماعية وفق طبيعة كل منهما ومتطلبات الحياة .

فالأسرة التقليدية المسلمة نظام اجتماعي إلهي، يحقق مصلحة الفرد والجماعة ومصلحة الرجل والمرأة، ومصلحة الآباء والأبناء، ويقوم على المساواة بين الجنسين والتضحية المتبادلة بينهما، وتوزيع المسئوليات بين الرجل والمرأة وفق طبيعتهما، ويحقق التكامل بينهما في رعاية الأسرة دون ضرر ولا ضرار .

وهذا يجعلنا نخلص من مناقشة فِكرْ المناهضين للأسرة التقليدية والأنظمة التي قامت عليه إلى أن المفهوم التقليدي للأسرة هو المفهوم الوحيد الذي يدل على جماعة الأسرة بمعناها اللغوي في اللغة العربية، وبمعناها الشرعي في الشريعة الإسلامية، وبمعناها الاصطلاحي عند معظم علماء النفس الأسري والاجتماع العائلي ولاسيما في المجتمعات الإسلامية، التي تقدس الحياة الأسرية التقليدية، وتجعلها من العبادات التي يثاب عليها المسلم في الدنيا والآخرة . فلا تغيير ولا تعديل في مفهوم الأسرة عندنا، لأنه مفهوم ثابت وصالح للإنسان في كل زمان ومكان .

ولا يوجد مبرر علمي ولا عقلي ولا ديني يدعونا إلى إعادة النظر في مفهوم الأسرة، فليس من العلم أن ندخل جُحر الضَّبِّ وراء بعض الباحثين غير المنضبطين بقيم الحق والعدل والخير في الدعوة إلى التخلي عن مفهوم الأسرة أو تعديله، وهدم المبادئ التي تقوم عليها الأسرة التقليدية . فالأسرة في لغتنا الجميلة وفي شريعتنا الغراء وفي اصطلاح علمائنا الأفاضل تقوم على الأَسْر أو القيد والأُنس والإعالة .

الهوامش

(1) جذع كلمة "الأَسْر" هو أَسَرَ، ويستخدم بثلاثة معان، تقوم على الربط والعَصْب والقيد : فأَسَرَه يأسره أسرًا أي شده بالإسار أو القيد فهو أسير . وأَسَرَه تعني خَلَقَه وجمع أعضاء جسمه، وشدها بعضها إلى بعض من غير رخاوة، فأحكم خَلْقه . وأَسَرَ الشيء أي عَصَبَه وشدَّه بالقيد حتى يجتمع . قال تعالي: ﴿ نَّحْنُ خَلَقْنَـٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ﴾ (سورة الإنسان : 18) أي خلقناهم ذا قوة وشدة في الخَلْق والخُلُق فتبارك الله أحكم الخالقين .

(2) جذع كلمة الأهل هو أَهَلَ وأَهِلَ، وتؤخذ منه اشتقاقات عديدة بمعان مختلفة: فتأهل الرجل أي تزوج، وأتيت أهلا أي استأنس ولا تستوحش، وأَهَّل به أي رحب به، وأَهَلَ به أي أنس به، وأَهْلُ لكذا جدير به، وقادر على القيام به . وتَأَهَّل للعمل أي حصل على الخبرات والمعلومات والمهارات اللازمة للعمل، وأَهْلُ البيت سكانه، وأهل الشيء أصحابه، وأهل الرجل أسرته . (انظر المعجم الوسيط ج 1 ص 31 و 32 والمعجم الوجيز ص ومختار الصحاح ص 27) .

(3) أحيانًا تؤخذ الأسرة بمعني أوسع من العائلة، حيث يقصد بالعائلة أبناء الرجل وزوجته في بيت واحد، في حين يقصد بالأسرة أبناء الرجل وزوجته وأقاربه الذين يعيشون معه في بيت واحد . (انظر مختار الصحاح ص 16) .

(4) العائلة مؤنث العائل وهي مجموعة من الأشخاص يعتمدون على شخص ما عادة الأب . وجذر العائلة عال وأعال يعيل إعالة، ويشتق منها عيال الرجل أي مَنْ يعول، وعال عياله أو أعال عياله أي كفاهم وقاتهم وأنفق عليهم، وأعال الرجل كثر عياله فأثقلوه . والعَوْل أي الاستعانة، وعوَّل الرجل عليه أي اعتمد عليه واتكل عليه، والعَوْل الاستعانة، أو هي قوت العيال . (انظر المعجم الوسيط ص 661 . ومختار الصحاح ص 466) .

(5) الراديكالي: [في علم الاجتماع] : مذهب سياسي يطالب بالإصلاح التام في إطار المجتمع القائم . " المعجم العربي الأساسي" .

(6) كلمة *Commune* تعني علاقة حميمة ومشاعر مودة ومحبة بين شخصين أو أكثر، وتعني أيضًا الشيوعية وحلول الملكية الجماعية مكان الملكية الفردية، وتعني كذلك الحياة الجماعية المشتركة في مكان واحد، من أجل تبادل مصالح مشتركة وفق نظام خاص بهم (قاموس المورد) .

(7) البرجوازية : طبقة نشأت في عصر النهضة الأوربية من الأشراف والزراع ، وأضحت دعامة النظام النيابي في المجتمع، ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي . " المعجم العربي الأساسي" .

(8) الأيديولوجيات: علم الأفكار وموضوعه دراسة الأفكار والمعاني وخصائها وقوانينها وأصولها . " المعجم العربي الأساسي" .

(9) الأنثروبولوجي: العالم المتخصص بعلم الإنسان .

obeikandl.com